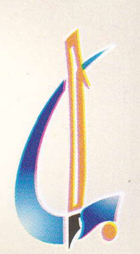
العدد 01





HISTORY STUDIES

دورية فصلية محكّمة تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلمية _ الجزائر
ديسمبر 2013 م/ صفر 1435 هـ

ISSN: 2352 -9741

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسات تاريخية

دورية فصلية محكمة تصدر عن:

مركز البصيرة



للبحوث والاستشارات والخدمات التعلمية

- العدد الأول -

(01)

رئيس التحرير:

الدكتور: الحاج عيفه

elhadjaifa@yahoo.fr

نائب رئيس التحرير:

الأستاذ: نوار نسيم

noor_histoire@yahoo.fr

المراسلات باسم مدير مركز البصيرة

46 تعاونية الرشد القبة القديمة - الجزائر

الهاتف: 0021321289778

الفاكس: 0021321283648

البريد الإلكتروني:

markaz_bassira@yahoo.fr

الموقع الإلكتروني:

www.baseeracenter.com

رقم الإيداع القانوني: 2013-6056

ردمد (ISSN): 2352-9741

التوزيع



دار الخلدونية للنشر والتوزيع

05 شارع محمد مسعودي القبة الجزائر

ها/فا: 021.68.86.48

ها: 021.68.86.49

قواعد النشر

دراسات تاريخية دورية فصلية محكمة تعنى بنشر المواضيع العلمية المبتكرة والمقالات الأكاديمية الجديدة، وترحب بإسهامات الأساتذة الأفاضل والباحثين الأكارم في المواضيع ذات الصلة بمجال الدراسات التاريخية أو العلوم المساعدة لها ذات العلاقة، على أن يراعي في تلك الأعمال قواعد النشر التالية:

1)- أن يكون الموضوع المطروق متميزا بالجدة والأصالة والموضوعية والإثراء المعرفي.

2)- تقبل المقالات باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية، على أن لا يقل عدد صفحات المقال عن 15 صفحة ولا يزيد عن 25 صفحة، وأن لا يزيد عدد الأشكال والملاحق عن 15 بالمائة من حجم المقال.

3)- أن يكتب المقال ببرنامج (Word) مع مراعاة التقيد بنوع الخط والحجم، فالمقالات المكتوبة باللغة العربية يجب أن تكتب بخط: (Arabic Transparent) حجم 14 بالنسبة للمتن وحجم 10 بالنسبة للهامش؛ أما المقالات المكتوبة باللغة الأجنبية فيجب أن تكتب بخط: (Times New Roman) حجم 12 بالنسبة للمتن وحجم 10 بالنسبة للهامش.

4)- يجب أن يلتزم أصحاب المقالات المقدمة للنشر بالأمانة العلمية من حيث نقل المعلومات، واقتباس النصوص والأفكار وعزوها لأصحابها، وتوثيقها بالطرق العلمية المتعارف عليها منهجيا.

5)- ضرورة اتباع القواعد العلمية المتعارف عليها في الإحالة والتوثيق والاعتماد على المصادر والمراجع (لقب واسم المؤلف، عنوان المصدر أو المرجع، دار النشر، مكان النشر، سنة النشر، الطبعة، الجزء، الصفحة).

6)- يجب إدراج الهوامش على شكل أرقام متسلسلة بصيغة أوتوماتيكية في نهاية المقال.

7)- تخضع المقالات المقدمة للنشر للتقييم من قبل الأساتذة الخبراء، في حين يحتفظ القائمون على الدورية بحق نشر الأعمال المقبولة حسب التوقيت الذي يرونه مناسبا ووفق المعايير العلمية، وعلى هذا الأساس تقوم الدورية بإخطار الباحثين بالقرار النهائي المتعلق بالقبول أو التعديل، كما تمنح الدورية كل باحث إفادة بقبول بحثه، على أن الدورية غير ملزمة بإبداء الأسباب حول الرفض وعدم النشر.

8)- لا تتحمل الهيئة العلمية أية مسؤولية عن الموضوعات التي يتم نشرها في الدورية ويتحمل بالتالي صاحب المقال كامل المسؤولية عن كتاباته التي تنتهك حقوق الملكية الفكرية أو حقوق الأخرين.

9)- لا تتبنى الدورية اتجاها إيديولوجيا معينا، ولا تخضع لقيود غير العلمية منها والمعايير الأخلاقية، لذلك فالمقالات المنشورة في الدورية لا تعبر إلا عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي الدورية أو مركز البصيرة ولا تلزم القائمين عليها.

الهيئة العلمية

ترسل المقالات مرفقة بملخص بلغة غير لغة نص المقال (فرنسية-إنجليزية) في حدود (150-200 كلمة) بالإضافة إلى نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية للباحث على بريد الدورية الإلكتروني:



m_bassira.histoire@outlook.fr


بسم الله الرحمن الرحيم



أمة تتعلم، أمة تتقدم

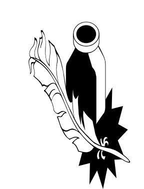
دورية دراسات تاريخية/ العدد 01 - صفر 1435هـ / ديسمبر 2013م

محتويات

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ سورة يوسف: ١١١

الافتتاحية



كتابة التاريخ أقدم ما باشره الإنسان أمام وجوده ومحيطه، وقد تمثّل الإنسان محيطه فعلا وانفعالا، وقدّم الدليل على كلّ حركة من حركاته في الزمان والمكان، بما ترك من آثار الصنعة أو الحيلة.

ثمّ ارتقى إلى التعبير عن تاريخه فرسم على الصخور حيثيات الانفعالات التي انتابته في جزئيات حياته، فعبّر عن الخوف، وعن الفرح، كما عبّر عن الانتصار، وعن الاندحار أمام قوّة الطبيعة التي كانت تتحدّاه، وكان يستجيب لها بما أوتي من آلة، وبما هيّأ من أداة.

وفي اكتشافه العظيم للأبجدية حاول الإنسان أن يمتّع نفسه بما يذكّره بإنجازاته الحضارية التي تعبّر عن قدراته الخارقة، وسيطرته التدريجية على قوانين المادّة، ونسبية الزمن التي تحيط به، وتؤثّر في وجوده وكيانه.

وفي مراحل تطوّر الوعي بالذات برز التفكير في وجوده الإنساني بأبعاده الزمانية، وأصبح يستشرف المستقبل بإحداثيات الحاضر، وصار يقدّر منجزات الحاضر بتطوّرات الماضي. وهكذا أصبح الماضي معرفة في بنية الفكر الإنساني.

ولقد دأبت المدنيات القديمة على تدوين الأحداث والوقائع، لتمجّد وجودها، وتقدّس كينونتها. وهكذا جمعت مفردات حضارتها؛ السياسية، والعسكرية، والثقافية، والاقتصادية. وبه منحت للمتأخّرين أخبار المتقدّمين، ووهبت للأولاد شهادات الآباء، لتحقّق كلّ مدنية استمرارية المجد المتمثّل في سيطرتها على الجغرافيا.

ثمّ لبس التاريخ ثوب القصص والرواية، وصار تراثا ثقافيا تتوارثه الأجيال عن طريق المشافهة والسماع، ليصبح ماضيا مرويا يحمل قيمة التوغّل في الزمن يعلو بها في قدسية الوجود، التي أضفاها سلف الإنسان على الظواهر الكونية من قبل.

ومع مرحلة التدوين تحوّل السرد عند كثير من الأمم من نصّ مروي إلى نصّ مكتوب، وصار الحدث نظاما مخطوطا، يقرأه كلّ من رام معرفة بالعلوم، وتطوّر البشرية. وحلّ هذا النصّ محلّ المقدّمات لكلّ التوجّهات الحاصلة في القوانين التي تقوم عليها الدول، أو المعارف التي تقوم عليها العلوم. وحلّ التاريخ لازمة معرفية للحضارات والأمم.

وبتطوّر العلوم الإنسانية والاجتماعية في العصور الحديثة بتطوّر المنهج في تركيب المعرفة داخل ميادينها، تطوّر سرد الخبر وكتابته، وانتقل من مجرّد ترجمة الشفوي خطّا وكلمات إلى إشكاليات منهجية في حيثيات الحدث وووروده، وإحداثيات الزمان والمكان التي أطّرته.

وبنيت على ذلك أفكار واتّجاهات في تناول الحدث. كما استحدثت أطر منهجية في الأدوات التي يستطيع المؤرّخ الوصول بها إلى كلّ ذلك، حتّى يحيط بالحدث من كلّ جهاته.

هكذا دأبت الكتابات التاريخية في المحافل والجامعات، وعند الهاوين والمتخصّصين. وأنشئت لذلك دوريات ومجلاّت، واستحدثت له كراسي وتخصّصات، وتنافست على مادّته الهيئات العلمية والمعاهد التربوية. وصار لونا في كلّ العلوم مع احتفاظه بميدانه الذي يطوّر من عرض المنجز السياسي والعسكري بروح البطولة والمجد إلى دراسة الحياة الإنسانية برمّتها؛ الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية. وتناول كلّ مظاهر الحياة الجليلة والدقيقة، وتشابك مع علوم كثيرة، ليحقّق أداة التحليل والاستنباط.

وكثرت الرسائل العلمية التي تناولت بإسهاب التاريخ عرضا، ودراسة. كما ظهرت المجلاّت المحكّمة التي تنشر الأبحاث الجادّة، والمقالات المتينة؛ التي تأخذ مادّة التاريخ معرفة، ومنهج التاريخ علما، وتحقّق في ماضي الإنسان، كما تحقّق العلوم الفيزيائية في محيطه.

وتظلّ هذه الرسائل والمجلاّت عاجزة أن تحيط بإشكاليات التاريخ، لأنّ التاريخ في توسّع دائم، من حيث الزمان الذي يمتدّ دوما، ويمدّ معه التاريخ، ومن حيث الوقائع التي تمتدّ بامتداد البحث، وتزداد بازدياد الإشكاليات التي يفرزها المنهج.

ومن هذا السبيل في رفد البحث التاريخي اللامتناهي، ارتأى القائمون على مركز البصيرة إصدار دورية دراسات تاريخية، وهي دورية محكّمة متخصّصة في الدراسات التاريخية، تنشر الأبحاث والمقالات المهتمّة بالتاريخ.

وهذا ما شجعنا على المضي لإدارة هذه الدورية التي ستتسم بالروح الموضوعية ونجعلها من أثبت الدوريات التاريخية وأرصنها في تقديم المواضيع التاريخية ومعالجتها في نشر الوعي التاريخي.

ومما يزيدنا شرفا ما أحدثه مركز البصيرة من أثر محمود وقبول حسن من لدن الباحثين والمؤرخين في داخل الوطن وخارجه.

إن هيئة التحرير ترجو من الإخوة الباحثين والمؤرخين المساهمة ببحوثهم وكتاباتهم في دعم هذه الدورية المتخصصة في ميدان البحث التاريخي، وتقدم جزيل شكرها وتقديرها لكل الذين ساهموا في التحرير والإعداد والنشر.

إن مركز البصيرة يقدم العدد الأول من هذه الدورية للمؤرخين والباحثين يرجو أن تضيف البحوث والآراء المتضمنة فيه معلومات قيمة الى المكتبة الجزائرية خاصة والعربية عامة .كما يرجو منهم الإسهام في تحرير الأعداد المقبلة التي نرجو أن تكون الصورة الحية لجهود جميع المؤرخين، وتعمل على إظهار سعيهم ونشاطهم في ميدان الثقافة التاريخية، وصفحة مشرقة لجهودهم العلمية .

والله نسأل أن يحقق أهدافنا كاملة من أجل الحفاظ على تراثنا وكتابة تاريخنا بالقلم النزيه وبالروح النبيلة وبالصفة العلمية الأكاديمية الجادة.

كما نرجو لهذه الدورية التوفيق والتطور حتى تصبح منتدى علميا نشيطا للمؤرخين والباحثين على اختلاف مشاربهم واهتماماتهم.

ونحن إذ نبعث للوجود هذا العدد ندعو كافّة الباحثين المتخصّصين الذين لهم الرغبة في نشر أبحاثهم ان يساهموا معنا في هذا المنبر، وأن يدفعوا معنا في هذه المعرفة التي هي خلاصة ماضي الإنسان وإنجازاته.

والله وليّ التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

رئيس التحرير الدكتور الحاج عيفه

شيخ المؤرخين وقدوة الباحثين
أبو القاسم سعد الله في ذمة الله

رئيس التحرير الدكتور الحاج عيفه

إن للموت هيبة وجلالا، ولفقدان الأحبة صدمة لا تطيق النفوس لها احتمالا، فكيف إذا كان الفقيد في مجال الصالحات والمكرمات قدوة ومثالا؟ ليس من غرضنا في ذكر هذا الحدث أن نجدد المصاب فنثير بذلك كوامن الحزن، ولكننا إذ نؤبن شيخنا المرحوم إن شاء الله العلامة أبو القاسم فإننا نريد بذلك أن نستجلي - معاشر الأحياء- معاني الإخلاص والتقى، ومثال التضحية والوفاء، ونبراس الأجيال من خلال حياته العامرة، بثمرات الجد والمثابرة، ونتائج الصبر والثبات، في صنع النفوس العظيمة، وتكوين الهمم العالية.

نعم لقد فاجأنا القدر بوفاة أعز الأبناء وأبرهم بوطنهم حبا وإخلاصا، وتضحية وجهادا، فكان بحق ممن قال الله عز وجل فيهم: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ آل عمران: 146، فمن منا في الجزائر والوطن العربي لا يعرف من هو شيخ المؤرخين الجزائريين الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله في كفاحه وجهاده وحبه للخير والصلاح، ودماثة أخلاقه وتواضعه وتقاه وخشيته الله تعالى؟ في إيمان لا يشوبه رياء، وعزيمة لا يفل من حدها الملل والإعياء، وإقدام لا يعتريه تردد ولا خوف، وهو في كل ذلك مدفوع بعقيدة لا تتزعزع، ولا مطمح له بذلك في شيء من متاع الدنيا.

لم يطمح إلى منصب أو جاه،ولا امتدت عينه إلى متاع من الدنيا يكون له جزاء على ما قدمه من تضحيات،فبتلكم الشحنة الدافعة من الصبر،وبذلكم الدرع الواقي من الرضا واليقين نتقي الجهل والتخلف، ذلكم لأن الشيخ رحمه الله عاش حياته رافعا لشأن الجامعة حتى آخر رمق من حياته، لم تقعد به شيخوخته ولم يثنه عجزه عن التردد إليها، نرجو الله تعالى أن يجعله من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

فما منا من أحد إلا وهو يرجو له المغفرة والرضوان، لما كان يتمتع به من دماثة الأخلاق، ولطافة المعشر في أغلب حالاته.

أيها الشيخ يشهد لك القاصي والداني بالخير والمكرمات، إذ عشت حياتك رفيق العلم، وكنت أنى حللت عظيم الشأن رفيع الدرجات. لقد بارك الله في عمرك الذي أفنيته في تربية الأجيال وتكوين الرجال، وإنعاش تراثنا وتاريخنا تأليفا وتحقيقا وترجمة، بما ألهمك الله من العلوم ووهبك من أنواره اللدنية، فأسلست لك الأحكام قيادها، وكشفت لك أسرارها، فأفتيت فيها بالقول الفصل لا يستعصي عن المبتدي، ولايستغني عنه المنتهي.

فماذا نزيد نحن إلى حصيلة عمرك الزاخر بالمآثر والمحامد التي سلكتك في عداد الخالدين؟

وما المزيد الذي يطلبه من اتخذ نحو العلياء مرقاة؟

وهل يرجو من وراء ذلك غير ما رجاه الشاعر من رسول الله عندما أنشد بين يديه:-

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا   وإنا لنرجو فوق ذلك مطهرا

ولئن كانت مثل هذه الذكريات المجيدة تثير أشجاننا، فتغذي في ضمائرنا روح النخوة والاعتزاز بقيمنا ورموزنا وتقوى في نفوسنا، دوافع الغيرة والحماس على مقدرات مجتمعنا ومقومات منهجه المتميز بأصالته الربانية وتربيته المحمدية.

وإذا فاتك التفات إلى الماضي   فقد غاب عنك وجه التأسي

ولم يكن عزاؤنا في شيخنا إلا أن يكون قبره- بإذن الله- روضة من رياض الجنة، وأنه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وقد ورد في الأثر أن ألسنة الخلق أقلام الباري،فحسبه شرفا وخلودا أن يشهد له القاصي والداني بالفضل العميم والخير الجزيل،والعلم الأصيل،والذكر الجميل،وما أبلغ قول أبي تمام في أمثاله من العظماء:

ألا في سبيل الله من عطلت له   فجاج سبيل الله وانثغر الثغر
فتى كلمافاضت عيون قبيلة   دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر

فمن منكم أيها الجيل من الطلبة ورجال العلم لم يقتبس من نور علمه،ولم يتعلم السرى على كواكبه وبدوره؟

ولئن فني جثمانه الطاهر في ذرات التراب،فإن روحه الخالدة ترف علينا ما بقينا أوفياء له.

إن الوفاء للشيخ لا يتحقق بتنميق الأحاديث وتنسيق الخطب والكلمات،أو برفع الشعارات وتعليق اللافتات للإشادة بأمجاده لأن حبه في سويداء قلوبنا وذكراه العطرة ملء جوانحنا. بل

لا يكـون وفاؤنـا لـه إلا بالمصـابرة والمرابطـة في اقتفـاء آثارجهـاده العلمي، ومتابعـة المسـيرة إلى أهدافها السامية وفق ملته واعتقاده.

وفي الأخير سـلام عليك يـا أبـو القاسـم في محيـاك ومماتـك، وطوبى لـك- بـإن اللّه- في عليين، مع الصديقين والشهداء والصالحين. فإن العين لتدمع، وإن القلب ليخشع ولا نقول إلا ما يرضي ربنا. إنا للّه وإنا إليه راجعون ولاحول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم.

وفي الختام أردد مع الشاعر الفحل أبي تمام هذه الأبيات:

سـقى الغيـث غيثـا وارت الأرض شخصـه   وإن لم يكـن فيـه سـحاب ولا قطـر
وكيـف احتمـالي للغيـوث صـنيعة   بإسـقائها قـبرا وفي لحـده البحـر
مضـى طـاهر الأثـواب لم تبـق روضـة   غـداة ثـوى إلا اشـتهت أنهـا قـبر
ثـوى في الثـرى مـن كـان يحيـا بـه الثـرى   ويغمـر صـرف الـدهر نائلـة الغمـر
عليـك سـلام اللّه وقفـا فـإنني   رأيـت الكـريم الحـر لـيس لـه عمـر

الخلافة الأموية[1] بالأندلس في عهد الناصر والمستنصر
(ما بين التحديات الداخلية والعلاقات الخارجية)

أ/ نوار نسيم
قسم التاريخ
جامعة الجزائر 2

- تمهيد:

كانت الحملات الإسلامية التي اتجهت لفتح الأندلس قوامها من البربر غالبا، ومن هنا ارتبطت بلاد المغرب بالأندلس بعلاقات وثيقة في النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية، ذلك أن البربر من أوائل المسلمين الذين استوطنوا الأندلس بعد افتتاحها، ولم تنقطع هجراتهم إلى الأندلس بانتهاء عمليات الفتح الإسلامي، بل استمر تدفقهم إليها عبر فترات تاريخية متعاقبة، مستغلين مجاورتها لبلادهم، ودعوة حكام الأندلس للبربر للوفود عليهم بغرض تجنيدهم في الجيش، وهذا ما كفل لهم التفوق العددي على بعض الأجناس المستوطنة في الأندلس[2]، وعند قيام الخلافة العباسية سنة (132هـ/749) لم تخضع الأندلس لهؤلاء الحكام الجدد[3]، ذلك أن شابا أمويا هو عبد الرحمن بن معاوية الملقب بصقر قريش[4] (138 - 172هـ/755 -788م) ظفر بالحكم فيها، حيث أقام بها إمارة أموية ما لبثت أن تحولت بعد ذلك إلى خلافة إسلامية.

لعبت العصبية القبلية دورا بارزا في قيام الإمارة الأموية بالأندلس، ذلك أن رابطة الولاء تعد رابطة قوية تجمع ما بين التابع والمتبوع أو المولى وسيده[5]، وعلى الرغم من تنوع الأصول العرقية للموالي، إلا أنهم نجحوا في تكوين عصبية خاصة بهم، ويبدو أن موالي بني أمية قد شعروا بأهميتهم السياسية، التي ازدادت بازدياد أعدادهم بعد اضطراب أمر الأمويين في بلاد المشرق، حتى إذا اقترب عصر الولاة بالأندلس من نهايته، انتظم الموالي في كتلة متماسكة حققت لنفسها مركزا سياسيا مرموقا في النظام السياسي الجديد بالأندلس، مستفيدين من الصراع بين العرب والبربر، وكان المقري (ت 1041هـ/1631م) مصيبا حينما وصفهم بقوله: "وكانت الموالي المروانية المدونة بالأندلس في ذلك الأوان ما بين الأربعمائة والخمسمائة، ولهم جمرة"[6].

- طبيعة النظام السياسي بالأندلس:

لم تكن الخريطة السياسية في الساحة الأندلسية على التعقيد الذي كانت عليها نظيرتها المغربية، فقد خضعت هذه الولاية الإسلامية النائية عن مركز الخلافة بالمشرق لحكم الأسرة الأموية ابتداء من منتصف القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي وإلى غاية الثلث الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، كما لم يكن المجتمع الأندلسي بعد الفتح الإسلامي مجتمعا بسيط التركيب، وإنما كان يتألف من عدة عناصر متباينة في أصولها الجنسية والثقافية، وكان هذا التباين وهذا التعدد في وقت من الأوقات مظهرا من مظاهر القوة والثراء، ولكنه كان يحمل في طياته بذور الضعف وأسباب التفكك والاضمحلال، ذلك أن العرب الفاتحين حملوا مع ما حملوه من مواطنهم إلى الأندلس، عاداتهم وتقاليدهم، وثقافة انقساماتهم القبلية، وخصوماتهم العشائرية، والأسوأ من ذلك أنهم كانوا يحفظون في ذاكرتهم ما كان يفرق بينهم من الحروب والعداوات التي كانت توقد دوما بينهم نار الفتنة، فعرفت الأندلس ما بين عامي (125 -138هـ/743 -755م) صراعات عرقية وحروبا داخلية بين العرب القيسية واليمانية[7].

لقد عمل عبد الرحمن الداخل على تغيير مفهوم الحكم بالأندلس بحيث يكون الانقياد والخضوع للدولة وليس للعصبية أو القبيلة، فمنذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي اختفى الصراع العرقي من الأندلس وحل مكانه الصراع الطبقي[8]، وقد بذل في سبيل ذلك جهدا كبيرا منذ دخوله مدينة قرطبة منتصرا، يقول ابن حيان (ت 469هـ/1076م): "ألفى الداخل الأندلس ثغرا قاصيا غُفْلا من حلية الملك عاطلا، فأرهف أهلها بالطاعة السلطانية وحنكهم بالسيرة الملوكية، وأخذهم بالآداب فأكسبهم عما قليل المروءة، وأقامهم على الطريقة، وبدأ فدون الدواوين، ورفع الأواوين، وفرض الأعطية، وعقد الألوية، وجند الأجناد، ورفع العماد، وأوثق الأوتاد، فأقام للملك آلته، وأخذ للسلطان عدته، فاعترف له بذلك أكابر الملوك وحذروا جانبه، وتحاموا حوزته، ولم يلبث أن دانت له بلاد الأندلس، واستقل له الأمر فيها"[9].

يبدو أن إصدار الأمير هشام بن عبد الرحمن (172 -180هـ/788 -796م) أمره بالتزام المذهب المالكي وتصيير القضاء والفتيا عليه، لا يمكن تفسيره بمجرد الإقرار بفضائل الإمام مالك بن أنس فقط، بل يجب ربط هذا القرار بالموقف السياسي للإمام مالك بن أنس (غير المعلن) في ميوله الأموية[10]، تلك الميول التي لم تكن خافية على العباسيين الذين ما برحوا يتوددون إليه من أجلها ويعرضون عليه الإذن في تعميم مذهبه[11].

إن المذهب المالكي يتفاعل مع شعور الأندلسيين في آمالهم بتوحيد بلادهم سياسيا وثقافيا، ذلك أن الأندلس كانت تموج بتناقضات جغرافية وبشرية الشيء الذي كان يهدد استقرارها وسلامة أراضيها، ولذا نشط طلبة العلم من مختلف العناصر الإسلامية بالأندلس إلى السعي نحو ترسيخ مفهوم الوحدة والانتماء في نفوس مواطنيهم، فالتمسوا مدرسة فقهية جديدة تلبي حاجاتهم في هذا الجانب، فوجدوا ما ينشدونه في تعاليم المذهب المالكي، لا سيما ما تعلق منها بالنظام السياسي والتنظيم الاجتماعي، حيث لائم البيئة الأندلسية وخصوصا بعد قيام الإمارة الأموية في النصف الأول من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وهو الوضع الذي ينسجم مع أوضاع الأندلس باعتبارها ثغر من الثغور الإسلامية التي لا تحتمل شرور الفتن الداخلية والخلافات المذهبية.

لقد ذهب بعض الباحثين إلى أن من أهم الأسباب التي لأجلها تبنت الإمارة الأموية المذهب المالكي هي كون هذا المذهب هو الوحيد الذي لم يوظف سياسيا لا عند العباسيين ولا عند نظرائهم الفاطميين، وهذا الأمر لم يكن غائبا عن القاضي ابن العربي (ت 543هـ/1148م)، ذلك أنه لما قامت الدولة الأموية بالأندلس، وأرادت الانفراد عن الخلافة العباسية، وجدت الأندلس على مذهب الإمام الأوزاعي (ت 157هـ/774م) فأقامت في قولها رسم السنة، وأخذت بمذهب أهل المدينة في فقههم وقراءتهم، فألزموا الناس العمل بمذهب مالك، والقراءة على رواية نافع (ت 169هـ/785م) وذلك لما رأوه من تعظيم مالك لسلفهم، ولما أرادوه من صرف قلوب الناس إليهم، في تعلقهم بسيرة حرم رسول الله، ودار نبوته، ومقر سنته[12].

في الحقيقة لا يمكن الجزم بأن المذهب المالكي انتشر في الأندلس بقوته الذاتية فحسب[13]، بل إنه من المؤكد أن يجد فقهاء المالكية في السلطة الأموية دعما سياسيا مباشرا، الأمر الذي ساهم في تثبيت جدور المذهب المالكي وفي انتشاره السريع بالأندلس، والجدير بالذكر هنا أن التحلية باسم "الفقيه" كانت ذات شأن في غرب العالم الإسلامي مقارنة بشرقه، فقلد يتجوز أهل المشرق في إطلاق اسم الفقيه على طلبة العلم المشتغلين بتحصيله، بينما كان أهل المغرب والأندلس يعدونه من ألقاب الشرف والرفعة[14].

وفي المقابل أضفى وجود فقهاء المالكية إلى جانب السلطة الأموية تأييدا لخطها السياسي، ففي نظير الحظوة التي نالها فقهاء المالكية في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم (206 - 238هـ/821 -852م) كان كبيرهم يحيى بن يحيى "يعترف للأمير بجميل ذلك فلا يأتلي في ذكر أحماد سيرته ووصف معدلته وتزيين آثاره لدى رعيته وتحضيضهم على طاعته واستنهاضهم لتكاليفه... ويرى السلطان منفعته فيزداد في إعظام قدر الشيخ"[15].

يبدو أن كلا الطرفين الخلفاء (الأمويين) والفقهاء (المالكيين) قد دخلا في علاقات تجاذب أملتها عليهما الظروف المشتركة، فالحاكم على ما كان ماثلا لديه من أهمية حضور الفقيه ضمن مجتمع يُعَد فيه الدين الأساس المرجعي الذي يستند إليه في إضفاء الشرعية على فعله السياسي، كما ظل فيه التعبير السياسي يمر عبر الدلالة الشرعية، وتمارس فيه السياسة بواسطة المفاهيم الدينية، الأمر الذي جعل الفقيه لا يتردد في التأسيس لسلطة منافسة للسلطة السياسية، مفوتا بذلك الفرصة على رجل السياسة الاستئثار بشؤون الحكم وحده.

جاء قرار تحويل نظام الحكم الأموي من الإمارة إلى الخلافة انبثاقا من آمال الأمير عبد الرحمن بن محمد (300 -350هـ/912 -961م) وتشوقه إلى إعادة أمجاد أسلافه الأمويين ببلاد المشرق، ومن هذا المنطلق وإدراكا منه لأهمية مشروعه الذي يتطلب وهو صاحب الأندلس إضفاء الصبغة الشرعية على حكمه، تلك الصبغة التي تعطيه الحق في مزاحمة العباسيين والفاطميين لزعامة العالم الإسلامي، فلأجل تحقيق هدفه تلقب بأمير المؤمنين الناصر لدين الله[16] وذلك في سنة (316هـ/928م)[17]، حيث "رأى أن تكون الدعوة له ومخاطباته والمخاطبات له في جميع ما يجري ذكره فيه بأمير المؤمنين، لما استحقه من هذا الاسم الذي هو له بالحقيقة ولغيره بالانتحال والاستعارة، فهو أبر أمراء المؤمنين والهداة الفاضلين، والأبرار المتقين من كل منتخب في المشرق والمغرب، وقائم بالحق وسالك لسبيل الهدى والرشد"[18]، يقول الذهبي (ت 748هـ/1347م): "تلقب صاحب الأندلس الناصر المرواني بأمير المؤمنين، وقال: أنا أحق بهذا اللقب من خليفة من تحت يد بني بويه، وصدق الناصر فإنه كان بطلا شجاعا سائسا مهيبا له غزوات مشهورة وكان خليقا للخلافة"[19].

والجدير بالذكر أن إحجام أمراء بني أمية السابقين لعبد الرحمن بن محمد عن إقامة خلافة بالأندلس قبل عام (316هـ/929م) كان في الأساس رغبة منهم في المحافظة على وحدة الأمة الإسلامية وجمع كلمتها تحت لواء خلافة واحدة هي الخلافة العباسية، واتباعا للرأي القائل بأنه "إذا عقدت الإمامة لإمامين في بلدين لم تنعقد إمامتهما لأنه لا يجوز أن يكون للأمة إمامان في وقت واحد وإن شذ قوم فجوزوه"[20]، لكن الضعف والانهيار الذي أصاب الخلافة العباسية أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي جعلها عاجزة عن الذود عن المسلمين والسيطرة على الحكام المنشقين.

والواقع أن هناك سؤالا مهما يجب طرحه وهو لماذا اختار عبد الرحمن الناصر سنة (316هـ/928م) لإعلان الخلافة الأموية في الأندلس، ولماذا لم يقم بإعلانها قبل هذا التاريخ أو

بعده؟ والحقيقة أن هناك أسبابا كثيرة تفسر ذلك منها أسباب داخلية وأخرى خارجية، في حين تبقى أهم الأسباب التي دفعت عبد الرحمن الناصر لمثل هذا الإجراء ما يلي[21]:

- فرض هيبته في نفوس أهل الأندلس حتى لا يتأثروا بالدعوة الإسماعيلية وخصوصا ما قام به دعاتهم من محاولات لنشرها بين سكان بلاد المغرب.

- رفع منزلته الدينية والسياسية وإضفاء الصبغة الشرعية على حكمه وخصوصا بعد الضعف الذي أصاب أسلافه نتيجة للثورات الداخلية التي شغلت عهودهم في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي وبخاصة ثورة عمر بن حفصون (ت 305هـ/917م) وأبنائه من بعده، حيث "انتقل أمره [أي عمر بن حفصون] إلى ولده جعفر ثم إلى ولده سليمان ثم إلى ولده حفص وعلى حفص انقرض أمرهم"[22] سنة (315هـ/928م)[23]، في حين كان قضاءه على هذه الثورة أمرا كافيا لبعث الاطمئنان في نفسه إذ شعر بعدها أنه اجتاز أصعب المراحل وأدقها في طريق اتمام الوحدة السياسية الأندلسية.

- سلسلة انتصاراته على الممالك النصرانية وخصوصا انتصاره الساحق على مملكة نافار (Navarre)[24] التي تعرف عند العرب باسم نبرة[25]، ودخوله عاصمتها بنبلونة (Pamplona)[26] سنة (312هـ/924م)[27]، في حين أتاحت له فرصة حدوث صراع بين تلك الممالك النصرانية التفرغ لإصلاح شؤون الأندلس في الداخل والخارج.

فضلا عن هذه الأسباب فإن محاولات الفاطميين نشر مذهبهم بين الأندلسيين وفرص نفوذهم على المغرب الأقصى تمهيدا للتدخل في شؤون الأندلس وإسقاط النظام الأموي، كل هذا كان دافعا للأمير عبد الرحمن بن محمد لإعلان خلافته، وقد وفق توفيقا كبيرا في اختيار وقت إعلانها، وهكذا يمكن اعتبار عمله هذا من جملة أعماله السياسية البارعة، حيث أن الخلافة العباسية في بلاد المشرق ضعف سلطانها وضاعت هيبتها، كما أن الدولة الفاطمية في بلاد المغرب قد ادعت الخلافة التي لم يكن المغاربة (من أهل السنة) يعترفون بها، وقد لقيت من المتاعب الكثيرة في نشر مذهبها وبسط سلطانها ما كاد أن ينهي وجودها.

لا غرو أن قيام الخلافة الأموية بالأندلس زاد من شدة النزاع القائم أصلا بين الاتجاه السني والممثل بالمالكية والاتجاه الشيعي والممثل بالإسماعيلية، كما عجل في دخول بلاد المغرب مرحلة جديدة من التنافس السياسي بين الخلافة الأموية والدولة الفاطمية على السلطة وامتداد النفوذ، ويؤدي بهما حتما في النهاية إلى الاصطدام المسلح وهذا ما حدث فعلا في العقد الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[28].

لم يمنع الفاطميين من غزو الأندلس سوى بعض العراقيل الداخلية التي عرفتها دولتهم، فهذا ابن حوقل (ت بعد 367هـ/بعد 977م) الذي كان يعتبر من جواسيس الفاطميين الذين قاموا بدور مهم في الأندلس، حيث دخل إليها مستترا بالتجارة على ما يبدو، في حين يذهب دوزي "إلى أنه دخل ليستطلع أحوال الأندلس ولدراستها لمصلحة مواليه الفاطميين، وذلك حينما كانوا يفكرون في توجيه ضربتهم إلى هذه البلاد، ولعل هذا ما يفسر اهتمامه بضفة خاصة بتسجيل دخل الدولة ومواردها الاقتصادية وتعداد خيراتها، ووصف طرقها ومسالكها، ثم أحوالها من الناحية العسكرية، كل ذلك اهتم ابن حوقل ببيانه في دقة تستوقف النظر"[29]، وعموما فإن الصورة التي يرسمها ابن حوقل للأندلسيين[30] فيها من التحامل والتعصب عليهم ما لا يخفى على المطلع في كتابه[31]، والظاهر أن ذلك لم يفت الفاطميين ولذلك لم يظفر مشروعه عندهم بالتأييد.

حاول الفاطميون منذ قيام دولتهم التدخل في شؤون الأندلس فبعثوا الدعاة إليها بهدف بث التشيع الإسماعيلي بها وجذب أهلها إلى الدعوة الفاطمية ليحققوا بذلك التكامل المذهبي والسياسي بين شطري العدوتين المغربية والأندلسية تحت حكمهم[32]، فكان أن لجأوا إلى الدعاية الشيعية في محاولة منهم لجذب أهل الأندلس نحوهم والتأثير عليهم لإثارة الفوضى وإشعال الثورات والتعجيل بسقوط النظام الأموي، وهكذا كانت محاولة الغزو المذهبي التي قام بها الفاطميون حيث تم إرسال دعاة إلى أطراف بلاد المغرب الأقصى وإلى عمق الأندلس، كما اصطنعوا عناصر من السكان كلفوهم بنشر مبادئ التشيع وإحداث القلاقل والنزعات المذهبية وتخذيل السكان عن الدولة الأموية تمهيدا لصرفهم عنها ثم تحويل أنظارهم إلى الدولة الفاطمية[33].

لقد كان نجاح الدعاية الشيعية بالأندلس محدودا جدا وذلك لتأصل المذهب المالكي السني بها ورسوخ التعلق بالأمويين هنالك، ولما شعر الفاطميون باستحالة غزو الأندلس راحوا يدعمون كل ثورة من شأنها أن تقوض النظام الأموي وتعمل على هدمه، كما حدث مع الثائر ابن حفصون الذي سارع واعترف بإمامة عبيد الله المهدي (297 -322هـ/910 -934م) ودعا له، فوجه إليه المهدي داعيين أقاما عنده يحرضانه على التمسك بدعوة الفاطمية ونشرها بين أتباعه، وظلا الداعيان مقيمين عنده طوال ثورته يمدان له يد العون والمشورة، كما سير إليه المهدي في سنة (301هـ/913م) بعض قطع أسطوله تمده بالأسلحة والذخائر[34]، لقد عبر الفاطميون عن سياستهم التوسعية في المغربين الأوسط والأقصى تعبيرا صريحا على لسان

عبيد الله المهدي، حيث كتب إلى المغاربة يدعوهم إلى الاعتراف بإمامته والدخول في طاعته والانخراط في سلك دولته[35].

على أن الخلافة الأموية لم تقف مكتوفة الأيدي أمام أطماع الفاطميين، حيث أنشأت أسطولا قويا تحمي به سواحلها من أي هجوم، وتقطع به المساعدات الفاطمية للثوار الأندلسيين، كما بدأ الخليفة عبد الرحمن الناصر يستخدم نفس الطريقة التي اتبعها الفاطميون ضده، فقام ببث العيون والجواسيس في أنحاء بلاد المغرب يزودونه بالأخبار والمعلومات، وساعد هؤلاء في مهمتهم وجود جاليات أندلسية في معظم المدن المغربية، وكانت تلك الجاليات قوية التمسك بالولاء الأموي السني شديدة كراهيتها للمذهب الشيعي[36].

توفي عبد الرحمن الناصر سنة (350هـ/961م) عقب علة أصابته سنة (349هـ/961م)[37]، بعد أن أمضى في الحكم نصف قرن، تمكن خلالها من تحويل الأندلس من إمارة تمزقها الفتن والثورات، إلى دولة قوية فرضت هيبتها واحترامها على الممالك الإسبانية، ذلك أنه لم يكتف بحماية حدود دولته بل تعدى ذلك بتوجيه عدة ضربات لتلك الممالك في عقر دارها عبر سلسلة من الحملات العسكرية، فهو الذي "غزا بلاد الروم اثني عشرة غزوة، ودوخهم ووضع عليهم الخراج، ودانت له ملوكها، فكان فيما اشترط عليهم اثنا عشر ألف رجل يصنعون في بناء الزهراء التي اتخذها لسكناه على فرسخ من قرطبة"[38].

فتوافدت عليه رسلهم وسفاراتهم بعد أن ملأ الخوف قلوب ملوكهم، فراحوا يبدون له المودة والمؤالفة، عارضين عليه المهادنة والمسالمة، فكان من بين تلك السفارات التي وفدت عليه، سفارة ملك القسطنطينية، قسطنطين بن ليون في سنة (338هـ/950م)[39]، وسفارة هونو ملك الصقالبة عام (342هـ/954م)[40].

هذا ولم يكتف الناصر ببسط نفوذه على أقطار الأندلس فحسب، بل تعداه ليصل إلى العدوة المغربية، "ولم يكن لأحد ممن ملك الأندلس في الإسلام سلطان بأرض العدوة قبله"[41]، فملك طنجة، وسبتة وغيرهما من بلاد العدوة[42]، "وما يليها من الأقطار، وطرد عنها ملوك الأدارسة... فطاعة له البربر في جميع نواحيها، واعتصموا بحباله، ولاذوا بفضله وعدله"[43].

لقد اتبعت الخلافة الأموية بالأندلس أساليب عديدة في نزاعها مع الفاطميين اعتمدت في جلها على الدعاية المذهبية[44]:

-استخدام المذهب المالكي وفقهاءه[45]:

في ظل النزاع المتفاقم بين الأمويين والفاطميين، تأتى لفقهاء المالكية (الأعداء التقليديين للشيعة) التأكيد مجددا على أهمية وزنهم السياسي بالساحة المغربية في التأثير على مجريات هذا النزاع بما وفروه من دعم قوي لحلفائهم الأمويين، الذين لم يتأخروا بدورهم في مد المالكية بالدعم السياسي، وهو ما يكشف عنه المنشور الخلافي الشهير الذي أصدره الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الملقب بالمستنصر بالله (350 -366هـ/961 -976م) عقب قتله الداعي الإسماعيلي أبو الخير[46]، معلنا فيه أن "كل من زاغ عن مذهب مالك فإنه ممن رين على قلبه وزين له سوء عمله، فقد نظرت في أقاويل الفقهاء ورأيت ما صنف في أخبارهم إلى يومنا هذا فلم أر مذهبا أتقى ولا أبعد من الزيغ من مذهبه، وجل من يعتقد مذهبا من مذاهب الفقهاء فإن فيهم الجهمي والرافضي والخارجي إلا مذهب مالك فإني ما سمعت أن أحدا تقلد مذهبه قال بشيء من هذه البدع"[47].

- تنشيط المقاومة المالكية بمصر:

امتدت رعاية الخليفة عبد الرحمن الناصر لفقهاء المالكية إلى مصر، حيث أرسل إليهم أموالا قدرتها بعض الروايات بعشرة آلاف دينار طلب توزيعها عليهم كي ينشطوا في الدعوة ضد الفاطميين[48]، وقد أثمرت جهوده في إثارة همم المالكية ضد الدعوة الشيعية وتأليب العامة الذين عبروا عن مظاهر استيائهم وغضبهم في مناسبات متعددة ولا سيما في يوم عاشوراء[49]، حيث كان المتحمسون من أهل السنة يطوفون في الطرقات يرددون: "معاوية خال المؤمنين"[50] وذلك منهم نكاية في الشيعة الذين يسبونه[51]، ولا يخفى ما في فعل الشيعة (السب والشتم) من عدم سلوك الأدب مع هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه، يقول المقري: "ويرحم الله بعض الأندلسيين حيث قال في زجر كبير:

وَمَن يَكن يَقْدحُ فِي مُعَاويةَ فَذَاكَ كَلَبٌ مِنْ كِلابٍ عَاويةَ"[52]

والجدير بالذكر هنا أن شيخ المالكية في مصر كان اسمه أبو إسحاق محمد بن القاسم الملقب بابن القُرطِي[53] (ت 355هـ/966م) وكان هذا الفقيه يذم الفاطميين ويسبهم ويدعو على نفسه بالموت قبل مجيء دولتهم، ويقول: "اللهم أمتني قبل دخولهم مصر"[54]، ولعل هذا هو السبب الذي حمل المستنصر على أن يبعث إليه بضعف ما كان يبعثه لنظرائه من المالكية، وقد توفي هذا الفقيه قبل الغزو الفاطمي لمصر بنحو ثلاث سنوات[55]؛ ولما تم للفاطميين الاستيلاء على مصر

ضيقوا على أهل السنة، ولقد شهد القاضي ابن العربي طرفا من هذا التضييق فشق عليه طغيان النفوذ الشيعي واستضعاف السنيين بها، ووصف حالهم مع الشيعة الإسماعيلية بقوله: "وسرنا حتى انتهينا إلى ديار مصر، فألفينا بها جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين، والسلطان عليهم جري، وهم في الخمول في سرب خفي، ومن هجران الخلق بحيث لا يرشد إليهم جريء، لا ينسبون إلى العلم ببنت شفة... وناظرت الشيعة... وتفطنت من سخافة هذه الطائفة بنفسي، إلى معان تممها لي النظر في المعارف والتمرس بالمشايخ، أمة غلب عليها سوء الاعتقاد، ونشئت من غير فطم بلبن العناد، واستولى اليأس منهم بما هم فيه من الفساد"[56].

- استقبال الأندلس للاجئين من أهل السنة والجماعة:

وهذه صورة أخرى من صور التساند بين السنيين، ذلك أن الأندلس فتحت أبوابها لاستقبال العديد من الطوائف المختلفة ولاسيما فقهاء المالكية سواء من بلاد المغرب أو من مصر الذين فروا ناجين بأنفسهم وعقيدتهم من التعدي والاضطهاد[57]، ويمكن تقسيم هؤلاء المهاجرين إلى الأندلس إلى قسمين:

- القسم الأول: قصد الأندلس لطلب العلم ودراسة الفقه المالكي، مدفوعين إلى هذا بسبب إلغاء الفاطميين العمل بالمذهب المالكي وتعطيل دراسته، أو قصدها للتدريس بها.

- القسم الثاني: قصد الأندلس بدافع الهرب من سياسة الفاطميين التعسفية اتجاه كل المذاهب غير الشيعية، والضغط عليهم حتى يعتنقوا مذهبهم ويدخلون في خدمتهم.

والحقيقة أن مدينة قرطبة قد شهدت في هذه الفترة وطوال فترة الخلافة الأموية حتى سقوطها أكبر تجمع لفقهاء المالكية، حيث فتحت أبوابها أمام كل مهاجر على خلاف مع النظام الفاطمي، وكل فقيه أراد أن ينجو بنفسه وبعقيدته من البدع التي استشرت في بلاد المغرب إبان تلك المرحلة العصيبة، وقد قوبلت هذه المجموعات المهاجرة بالرحب والسعة وأفسح لهم الأمويون صدورهم وأنعموا عليهم العطايا والمناصب الرفيعة وأجلسوهم للفتيا والتدريس حتى أزالوا عنهم غربتهم، ويكفينا في هذا المقام مدى الحفاوة والإكرام التي لقيها الفقيه محمد بن الحارث بن أسد الخشني (ت 361هـ/971م) وكيف احتفل به أهل الأندلس وأنزلوه منزلة كريمة[58]، وأن عبد الرحمن الناصر استدعاه وقربه إليه ونال حظوته بغزير علمه وفيض فقهه، فولاه الخليفة خطة الشورى بقرطبة وحكم المواريث، كما كلفه بتربية ابنه المستنصر.

أما الوافدون على الأندلس فرارا من بطش الفاطميين فمنهم أبو جعفر أحمد بن الفتح الملقب بابن الحزاز (ت 332هـ/944م) الذي وفد على عبد الرحمن الناصر بقرطبة سنة (325هـ/937م) لما خشي من عساكر الشيعة فأجاره الناصر وسجل له مدى حياته على قضاء مدينة مليلة، ومن الذين هاجروا أيضا حكم بن محمد بن هشام القرشي (ت 370هـ/980م)

حيث قدم إلى الأندلس في أول خلافة المستنصر فأكرم وفادته ثم استأذنه في الرجوع إلى بلده القيروان وألح عليه في ذلك فأذن له، وهناك امتحن من قبل الفاطميين وأودعوه السجن لأجل صلابته في السنة وإنكاره الشديد للبدع، وعندما أطلقوا سراحه جاز إلى الأندلس مرة ثانية فأكرمه أمير المؤمنين وأجرى عليه العطاء إلى أن توفي[59]، كما أن الفقيه أبا محمد حُبَاشة بن حسن (ت 374هـ/984م) هاجر إلى الأندلس ولزم فيها العبادة ودراسة العلم والجهاد، وكان كثيرا ما يتحدث عن سوء أحوال بلاد المغرب تحت حكم الفاطميين وكيف أن السنة أصبحت تقرأ سرا في القيروان[60]، دعاه عبد الرحمن الناصر ليجري عليه جراية ويوسع له في الإنزال ويجلسه للفتيا لكنه لم يجبه تعففا وصونا منه[61].

وهذا الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن الأزرق (ت 385هـ/995م) خرج من مصر سنة (343هـ/954م) وصار إلى القيروان فامتحن بها مع الفاطميين الذين ربما شكوا في كونه جاسوسا أمويا[62]، حيث ظل معتقلا في دار البحر ثلاثة أعوام وسبعة أشهر ثم تمكن من الهرب ودخل إلى الأندلس سنة (349هـ/960م) فأكرم المستنصر وفادته وأمر بإنزاله والتوسيع عليه في العطاء، وقد شارك بقدر واسع في الدعاية الأموية ضد الفاطميين، وذلك بتكذيب ما تدعيه الشيعة الإسماعيلية في المهدي من خلال روايته لحديث النبي صلى اللّٰه عليه وسلم الذي ذكر فيه أنه: (لا مهدي إلا عيسى بن مريم)[63].

- التشهير بمدبري حادث الحجر الأسود:

لقد شهد عدد من المرتحلين الأندلسيين ما وقع بمكة المكرمة على أيدي القرامطة[64] سنة (317هـ/929م) من أمثال محمد بن شاكر بن جناح (ت 329هـ/940م)، ونال بعضهم نصيبهم من أذى القرامطة أمثال سعدان بن معاوية (ت 327هـ/938م) الذي أصيب في وجهه بضربة سيف أحدثت ضررا بالغا في خده وعينه[65]، ووصف آخرون منهم المراحل الأخيرة من هذه الحادثة أمثال محمد بن عبد الملك بن ضيفون (ت 394هـ/1003م) الذي حج سنة (339هـ/950م) فشهد عودة الحجر الأسود إلى مكانه في ذلك العام[66].

يبدو أن هذه الحادثة تركت أثرا عميقا في وجدان الأندلسيين ولهذا كانت معظم رسائل عبد الرحمن الناصر إلى الأمراء والولاة لا تكاد تخلو من ذكر رغبته في استرجاع سلطان أسلافه الأمويين ببلاد المشرق ليعيد للدين نضارته من جديد ويؤمن للحجيج مسعاهم إلى الحرم[67]، يقول في بعض تلك الرسائل: "... صرف عزيمته، وأمال همته إلى ما بين يديه من أسباب المشرق، وطلب ما لم يزل لأوله حقا، وله ميراثا، مع ما ينويه ويرجو أن يجري اللّٰه أكرومته على يديه، من إحياء الدين بنظره، وإماتة البدع بقويم منهاجه، وحماية بيت اللّٰه

الحرام، المنتهكة حرمته المعظمة، المسلوب ركنه، المغلوب أهله، المعطلة مناسكه ومشاعره، وأن يجعل الله أمير المؤمنين حاصرا له، بطلب الجاني عليه بجنايته فيه، ويجدد من مخلق السنن ما درس، ويظهر منها ما انطمس... وقد أمر أمير المؤمنين بالتأهب والاستعداد بالرجال والأجناد، وتخير الكماة وانتقاء الرماة، وتضعيف العَدَد وتكثير العُدَد، وتجريد الآلات، وتكميل الأدوات، والنظر في إلحاق الحشود بالجنود لميقات معلوم ووقت محدود"[68].

إن فكرة عبد الرحمن الناصر في توحيد العالم الإسلامي ظلت حبيسة مخيلته ولم تتعداها، ولعل كلامه هذا ورغبته تلك كانت من قبيل الدعاية والتشهير بالفاطميين، ولحث البربر على ترك الدعوة الفاطمية التي أساء أتباعها من القرامطة إلى الحجيج[69].

كان طموح الفاطميين في توسع مجال حكمهم كبيرا جدا ولذا فقد كانوا بحاجة إلى تمويل مشاريعهم السياسية والحربية، فاشتطوا في جباية الضرائب من المرتحلين عبر المسالك البرية فلا يكاد المسافر يتنقل من مدينة لأخرى إلا وقد استوفى الجباة الضريبة المقررة عليه وعلى دوابه وأمتعته وسائر ممتلكاته[70]، ومنذ سنة (309هـ/921م) عمل عبيد الله المهدي على إحكام الرقابة على المرتحلين إلى بلاد المشرق، بحيث لا يسمح لأحد منهم بالسفر إلا عن طريق المهدية لأداء ما افترض عليه من المغارم[71]، وعلاوة على ذلك فقد كثر الاعتداء على المسافرين وانتهاب أمتعتهم خلال تلك الفترة وبالذات في مدينة قابس[72]، مما أعطى انطباعا بتراجع مستوى الأمن في الطرق البرية في بلاد المغرب معظم فترات القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي قياسا بما كان عليه الوضع في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي أيام دولة الأغالبة (184 -296هـ/800 -909م) الذين منحوا تأمين الطرق جانبا من عنايتهم فأقاموا المحارس على طول الساحل الإفريقي[73].

ويظهر أن متاعب المرتحلين الأندلسيين عبر الطريق البحري المار بسواحل إفريقية قد زادت كثيرا خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي فقد تعرضوا لمضايقات شديدة من قبل السلطات الفاطمية في ميناء المهدية حيث صودرت أموالهم وأمتعتهم[74]، ولربما جاء ذلك متزامنا مع تبادل الهجمات العسكرية على سواحل إفريقية والأندلس بين الفاطميين والأمويين فيما بين سنتي (343 -345هـ/954 -956م)، وما تقتضيه الحال في مثل هذا الجو المشحون بالتوتر السياسي من الأخذ بأسباب الحيطة والحذر في مناطق الحدود والثغور، ولاسيما أثناء التعامل مع التجار والذين عادة ما تحوم الشكوك حول الأهداف الحقيقية لمجيئهم، وإلا فإن الفاطميين حريصون على تنمية تجارتهم الخارجية لضمان موارد مالية كافية لتمويل مشاريعهم التوسعية في العالم الإسلامي،

وليس الأمويون بأقل حرصا منهم في هذا الميدان فقد شجعوا الحركة التجارية مع الأقطار المجاورة والبعيدة دون نظر إلى الخلافات السياسية أو المذهبية[75].

- الطعن في النسب الفاطمي:

هذه إحدى القضايا التي شغلت حيزا كبيرا من تاريخ النزاع الفاطمي الأموي وخاض فيها كثيرا من المؤرخين القدامى والمحدثين واختلفوا في تصحيح نسب عبيد الله المهدي والغالب عليهم الطعن فيه[76]، وقد ساعد هذا بطبيعة الحال على ازدياد حدة النزاع حيث استغل عبد الرحمن الناصر قضية الطعن في النسب الفاطمي سلاحا في دعايته ضد الفاطميين، حيث يقول في بعض رسائله مخاطبا القائم بدعوته بالعدوة المغربية موسى بن أبي العافية (ت 327هـ/939م)[77]: "وإنك بما أخلص الله من طاعتك ومفارقتك لأهل الإلحاد، بصحة إيمانك وتبرئك من البدع بمتين إسلامك، أحق من اطلع على سرائر اليهودي الغاوي وتواطئه، وما يعامل به الرعاع من أشياعه، أهل الجهل بالله، وقلة المعرفة بما ينتحله فيهم من النبوة، التي ألبسه الله بانتحالها الخزي، وأحاق به اللعنة"[78].

إذا كانت هذه القضية قد أثيرت على هذا النحو فمن الملاحظ أنها نالت في عهد المعز لدين الله (341 -365هـ/953 -975م) حظا أكبر من الإثارة، ولعل سر ذلك يعود في المقام الأول إلى مكانته فهو يعد من أقوى حكام الفاطميين والمدعم الحقيقي لكيان دولتهم، فإن انتصاراته العديدة مكنته من مد نفوذه إلى مصر وبلاد الشام، الشيء الذي جعل أعداءه من العباسيين ببلاد المشرق والأمويين بالأندلس يطعنون في نسبه وعقيدته[79]، فلم يتورع هذان الخصمان من القدح في نسب المعز لدين الله وإشاعة ذلك على الملأ من جمهور المسلمين، وهذا ما حمله في أغلب مجالسه إلى أن يحاول دفع هذه التهمة ويرد عليها، بل ويقدح بدوره في نسب الأمويين ويصفهم والعباسيين بأخس الصفات[80].

إن لقب الفاطميين الذي عرف به خلفاء عبيد الله المهدي يدل للوهلة الأولى على أنهم علويون من ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، على أن قضية نسب الأسرة الفاطمية كان ولا يزال موضوعا لم يتفق المؤرخون لا في الماضي ولا في الحاضر على رأي واحد فيه، وذلك يعود في الواقع لأمرين هما على التوالي:

-التباين السياسي والمذهبي الذي ساد المسلمين منذ وقوع الفتنة الكبرى.

-امتناع الفاطميين عن إعلان نسبهم، بالإضافة إلى تعمدهم إخفاء أسماء أئمتهم من محمد بن إسماعيل (ت نحو 198هـ/814م) حتى عبيد الله المهدي في فترة دور الستر، ولما أرادوا إظهار

دعوة الحق (بزعمهم) خشوا من اضطهاد العباسيين فتسموا بغير أسمائهم، فكانوا يحملون ألقابا وأسماء حركية تخفي حقيقتهم.

يبدو أن الأمويين بالأندلس ركزوا كثيرا على نقطة الضعف لدى الفاطميين، والمتعلقة بالشكوك الحائمة حول صحة نسبهم العلوي، ويتجلى ذلك في المكاتبات الساخنة بين المعز لدين الله وبين عبد الرحمن الناصر، ويمكن أيضا في هذا السياق تفسير اهتمام المستنصر بعلم الأنساب وتشجيع العلماء على دراسته ونشره، بل أنه بادر بنفسه إلى التأليف في هذا الحقل العلمي، فصنف كتابا بعنوان: (أنساب الطالبيين والعلويين القادمين إلى المغرب)[81]، في حين ذهب بعض الباحثين[82] إلى أن المستنصر كان يرى صحة نسب الفاطميين، وقد اعتمدوا في ذلك على إشارة سريعة أوردها ابن عذاري (ت نحو 695هـ/نحو 1296م) حول نسب عبيد الله المهدي، جاء فيها: "واختلف في نسبه فأدعى هو أنه عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو مذهب الحكم المستنصر بالله الأموي"[83].

في الحقيقة يفتقر هذا القول إلى الحجج المقنعة، إذ لا يمكن التسليم بمثل هذا الاستنتاج لمجرد إشارة عابرة جاءت في مصدر متأخر، ثم إن ابن عذاري لم يبين موارده التي أخذ منها هذه المعلومة، ولو أن المستنصر أقر فعلا بصحة نسب الفاطميين في كتابه المشار إليه، فلماذا أغفل ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) الإشارة إلى ذلك؟ ولم يستشهد بقول المستنصر أثناء مناقشته لقضية النسب الفاطمي، وهو الحريص (أي ابن خلدون) على التماس مختلف الأدلة لإثبات صحة نسبهم، ثم إن منطق الأحداث التاريخية لا ينسجم مع ما ذهب إليه ابن عذاري، فما الذي يجعل المستنصر يسدي هذ الخدمة العلمية الجليلة لخصومه السياسيين الذين ما فتئوا يتربصون به وبأسرته الدوائر ويتحينون الفرص المناسبة لإزالة حكمهم عن الأندلس؟

ومن وجهة النظر التي تهم الباحث في القضية عن أصل الفاطميين، يلاحظ أن العباسيين والأمويين في الأندلس ينكرون النسب العلوي للفاطميين، علما أنهم لم ينكروا قط شرعية غيرهم من العلويين كأمراء طبرستان في بلاد المشرق، وأمراء فاس في المغرب الأقصى، وفي العموم لا يميل المؤرخون السنة بشكل عام للفاطميين، إذ لا يكاد يوجد بينهم باستثناء ابن خلدون[84] والمقريزي[85] (ت 845هـ/1441م) من يقر بصحة نسبهم العلوي، ومع ذلك فإن الحجج والروايات التي ساقها المثبتون للنسب الفاطمي مبنية في معظمها على مرتكزات عاطفية، ورغم الاضطراب والغرابة في مجمل هذه الروايات فإن مما لا شك فيه أن العهد الفاطمي بدأ غامضا وغريبا ببلاد المغرب واستمر كذلك، ولذلك فإن الغموض الذي يكتنف الروايات التاريخية له علاقة بسيرة الفرقة الإسماعيلية التي أنشأت الدولة الفاطمية والتي كان لها دور

هام وخطير في السياسة الإسلامية، ذلك أنهم عرفوا بأعمال رائعة ضخمة وأخرى سيئة دموية هستيرية[86]، ومهما يكن من أمر "فإننا لا نود أن نذهب بعيدا في تقدير أهمية نسب الفاطميين، لآن النسب مسألة تشريف، وسواء أكان هؤلاء من نسل إسماعيل بن جعفر الصادق ومن ثم من نسل علي بن أبي طالب وفاطمة بنت النبي، أو كانت نسبتهم ترجع إلى عبد الله بن ميمون القداح، فإن ذلك لا ينقص من شأن أعمالهم السياسية والحضارية"[87].

لقد ظل الطعن في نسب الفاطميين مثار استفزاز لهم حتى بعد رحيلهم إلى بلاد المشرق واستقرارهم بمصر، ومن ذلك أن حاكم مصر الفاطمي العزيز بالله (365 -386هـ/975 - 996م) بعث إلى صاحب الأندلس المستنصر برسالة يسبه فيها ويهجوه فكتب إليه المستنصر مجيبا: "أما بعد، فإنك قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك والسلام"[88]، فاشتد ذلك على العزيز وأفحمه عن الجواب، كما أن المصريين كانوا هم أيضا يطعنون في نسب الفاطميين حيث يذكر ابن خلكان (ت 681هـ/1282م) أن العزيز صعد المنبر يوم الجمعة في أول ولايته فوجد ورقة مكتوب فيها[89]:

إِنَّا سَمِعْنَا نَسَبًا مُنْكَرًا ... يُتْلَى عَلَى الْمِنْبَرِ فِي الْجَامِعِ
إنْ كُنْتَ فِيمَا تَدَّعِي صَادِقًا ... فَاذْكُرِ أَبًا بَعْدَ الْأَبِ السَّابِعِ
وَإِنْ تُرِدْ تَحْقِيقَ مَا قُلْتَهُ ... فَانْسِبْ لَنَا نَفْسَكَ كَالطَّائِعِ(90)

أَوْ فَدَعِ الْأَنْسَابَ مَسْتُورَةً ... وَادْخُلِ بِنَا فِي النَّسَبِ الْوَاسِعِ
فَإِنَّ أَنْسَابَ بَنِي هَاشِمٍ ... يَقْصُرُ عَنْهَا طَمَعُ الطَّامِعِ(91)

- الهوامش:

[1] "فلم يك في دول الإسلام أنبل منها ولا أكثر نصرا على أهل الشرك ولا أجمع لخلال الخير وبهدمها انهدمت الأندلس إلى الآن وذهب بهاء الدنيا بذهابها"، (ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن محمد): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج2 ص39)؛ "ذكر غير واحد منهم ابن حزم أن دولة بني أمية بالأندلس كانت أنبل دول الإسلام، وأنكاها في العدو، وقد بلغت من العز والنصر ما لا مزيد عليه"، (المقري (أبو العباس أحمد بن محمد): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، ج1 ص327).

[2] خالد عبد الكريم حمود: الرحلة الأندلسية إلى الجزيرة العربية، ط1، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2002م، ص112.

(3) اختلفت المصادر في تقدير المدة التي دعي فيها للخليفة العباسي المنصور (136 -158هـ/754 -757م) على منابر الأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل، فبينما يشير ابن الأبار إلى أنها قطعت بعد أشهر دون السنة يحددها المقري بعشرة أشهر، أما ابن حزم فيذكر أنها استمرت عدة سنوات، وهناك من يجعلها تستمر إلى عهد عبد الرحمن الناصر (300 -350هـ/912 -961م) أمثال ابن الكردبوس وابن أبي دينار. أنظر: ابن الأبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله): كتاب الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ج1 ص35؛ المقري، المصدر السابق، ج3 ص58،59؛ ابن حزم(أبو محمد علي بن أحمد): رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية، بيروت، 1987م، ج2 ص84؛ عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الأندلس والمغرب خلال عهد الدولة الأموية بالأندلس، دار هومة، الجزائر، 2007م، ص78،79.

(4) "ذكر أن أبا جعفر المنصور قال يوما لبعض جلسائه: أخبروني من صقر قريش من الملوك؟ قالوا: ذاك أمير المؤمنين... قال: ما قلتم شيئا! ... قالوا: يا أمير المؤمنين! فمن هو؟ قال: صقر قريش عبد الرحمن بن معاوية، الذي عبر البحر، وقطع القفر، ودخل بلدا أعجميا منفردا بنفسه، فمصر الأمصار، وجند الأجناد، ودون الدواوين، وأقام ملكا عظيما بعد انقطاعه، بحسن تدبيره، وشدة شكيمته... فقال الجميع: صدقت والله يا أمير المؤمنين"، (ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ص59،60).

(5) احتفظ لنا الخشني بنص ثمين عن عتق الموالي، وذلك أثناء ترجمته لمحمد بن وضاح بن بزيع مولى عبد الرحمن بن معاوية، جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من عبد الرحمن بن معاوية لبزيع مولاه، أعتقته لله عز وجل فليس لأحد عليه سبيل، غير أن ولائه لي ولعقبي". أنظر: الخشني(أبو عبد الله محمد بن الحارث): أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1992م، ص122.

(6) المقري، المصدر السابق، ج3 ص29.

(7) عبد المجيد نعنعي: تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د ت، ص123 -129.

(8) أنظر: أحمد الطاهري: عامة قرطبة في عصر الخلافة، منشورا عكاظ، الرباط، 1989م، ص178.

(9) المقري، المصدر السابق، ج1 ص331.

(10) ليس القول بهذه الميول الأموية لدى الإمام مالك بن أنس محل اجماع بين الدارسين، أنظر: محمد أبو زهرة: مالك حياته وعصره -آراؤه وفقهه، دار الثقافة العربية، القاهرة، د ت، ص75.

(11) أنظر: لخضر بولطيف: الفقيه والسياسية في الغرب الإسلامي، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2005م، ص35.

(12) ابن العربي(أبو بكر محمد بن عبد الله): العواصم من القواصم، تحقيق عمار طالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، د ت، ص360،365.

[13] أنظر: خالد عبد الكريم حمود، المرجع السابق، ص273.

[14] لخضر بولطيف، المرجع السابق، ص11.

[15] ابن حيان(أبو مروان حيان بن خلف): المقتبس في أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار التعاون للطباعة والنشر، القاهرة، 1994م، ص180.

[16] "عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله، وتسمى بالناصر لدين الله وبأمير المؤمنين، ويسمى القائم لله أيضا، إلا أنه لم يستمر على هذه التسمية، وهكذا أنفذ كتابه إلى قسطنطين ملك الروم باللقبين جميعا، قال أبو محمد [يعني ابن حزم]: وأنا رأيت بعيني نيفا وخمسين كتابا كتبها بالزهراء وكلها معنونة من عبد الله عبد الرحمن الناصر لدين الله القائم لله أمير المؤمنين إلى فلان وفلان"، (ابن حزم، المصدر السابق، ج2 ص49).

[17] "وهو أول من تلقب من الأمويين بألقاب الخلفاء وتسمى بأمير المؤمنين... وكان من تقدمه من آبائه يخاطبون ويخطب لهم بالأمير وأبناء الخلائف، وبقي هو كذلك إلى أن مضى من إمارته سبع وعشرون سنة، فلما بلغه ضعف الخلفاء بالعراق، وظهور العلويين بأفريقية ومخاطبتهم بأمير المؤمنين، أمر حينئذ أن يلقب الناصر لدين الله، ويخطب له بأمير المؤمنين"، (ابن الأثير(أبو الحسن علي بن محمد)، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي ومحمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، مج7 ص270).

[18] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ص198.

[19] الذهبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد): سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م، ج15 ص118.

[20] الماوردي(أبو الحسن علي بن محمد): كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، ط1، دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م، ص10.

[21] محمد سهيل طقوش: تاريخ المسلمين في الأندلس، ط3، دار النفائس، بيروت، 2010م، ص316 - 318؛ فتحي زغروت: العلاقات بين الأمويين والفاطميين في الأندلس والشمال الإفريقي، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2006م، ص94 -97.

[22] لسان الدين بن الخطيب(أبو عبد الله محمد بن عبد الله): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م، مج4 ص42.

[23] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ص196،195.

[24] نافار (Navarre): هي مملكة إسبانية تمتد على طريق جبال البرانس (Périnée) وقسم منها يدخل في الأراضي الفرنسية ويسمى نافار السفلى، وقسم أخر يدخل في الأراضي الإسبانية وتسمى نافار العليا، توضح ظهور هذه المملكة كقوة سياسية ذات كيان مستقل في أوائل القرن الثالث الهجري/التاسع

الميلادي عندما تقلد الحكم فيها غرسية بن شانجة، وكانت قبل ذلك تدور في فلك أباطرة الفرنجة، في حين أطلق العرب على أهل هذه المملكة اسم البشكنس، تعرف منطقة نافار اليوم باسم الباسك (Basque). أنظر: محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص303،304.

[25] نبرة: بفتح أوله وسكون ثانيه وراء بعدها هاء، والنبرة عند العرب ارتفاع الصوت، ونبرة إقليم من أعمال ماردة مدينة بالجوف من أعمال الأندلس. أنظر: ياقوت الحموي(أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج5 ص258.

[26] بنبلونة (Pamplona): مدينة بالأندلس بينها وبين سرقسطة مائة وخمس وعشرون ميلا، وهي بين جبال شامخة وشعاب غامضة قليلة الخيرات، أهلها فقراء لصوص وخيلهم أصلب الدواب حافرا لخشونة بلادهم ويسكنون على البحر المحيط في الجوف. أنظر: الحميري(أبو عبد الله محمد بن أبي محمد): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر، بيروت، 1980م، ص104.

[27] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ص185 -188.

[28] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص145.

[29] محمود علي مكي: التشيع في الأندلس إلى نهاية ملوك الطوائف، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، العدد 1 -2، 1954م، مج2 ص115.

[30] "ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر أحلام أهلها، وضعة نفوسهم ونقص عقولهم، وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الأنجاد والأبطال، وعلم موالينا عليهم السلام بمحلها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها"، (ابن حوقل(أبو القاسم محمد النصيبي): كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص104،105).

[31] يرد ابن سعيد المغربي (ت 685هـ/1286م) على ابن حوقل في كلامه عن الأندلسيين. أنظر: المقري، المصدر السابق، ج1 ص212.

[32] فتحي زغروت، المرجع السابق، ص94.

[33] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص114،115؛ فتحي زغروت، المرجع السابق ص260 -268.

[34] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ص165.

[35] البكري(أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت، ص94،95.

[36] محمود على مكي، المرجع السابق، مج2 ص122.

[37] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ص333.

[38] الذهبي، المصدر السابق، ج8 ص267.

(39) ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ص213.

(40) ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ص218.

(41) ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف): المقتبس، تحقيق ب. شالميتا، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979م، ج5 ص306، ص298.

(42) الذهبي، المصدر السابق، ج8 ص268.

(43) ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ص224.

(44) اتسمت العلاقة بين الأمويين في الأندلس والفاطميين بالعدائية، وهي استمرار للنزاع القديم الذي قام في المشرق بين الأمويين والعلويين بعامة، ولا شك بأن قيام دولتين متجاورتين على أسس مذهبية مختلفة كان كافيا بأن يسبب صداما بينهما، ونظر الفاطميون إلى الحكم الأموي في الأندلس على أنه امتداد لخلافة دمشق، لذلك كانت لهم أطماع جدية في الأندلس، كما أن التوسع الفاطمي في المغربين الأوسط والأقصى هدد بشكل خطر الأمويين في هذا البلد، وأدرك عبد الرحمن الناصر أنه إذا لم يتصد لهذا التوسع فسوف يطغى على دولته، مر النزاع بين الدولتين بمرحلتين متميزتين ومتكاملتين، الأولى دعائية سياسية، والثانية عسكرية توسعية. أنظر: محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص320.

(45) انتصار محمد صالح الدليمي: التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (300 - 366هـ/912 -976م)، رسالة ماجستير، إشراف ناطق صالح مطلوب، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 2005م، ص133 -135.

(46) اضطلع الفقهاء بدور مهم في القضاء على حركة أبي الخير الداعية الإسماعيلي في الأندلس حيث شنوا عليه حملة دعائية واسعة انتهت بإصدار فتوى بقتله بغير استتابة. أنظر: ابن سهل(أبو الأصبغ عيسى بن سهل، ت 486هـ/1093م: ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، ط1، المركز العربي، القاهرة، 1981م، ص57 -100.

(47) الونشريسي(أبو العباس أحمد بن يحيى): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ج2 ص333.

(48) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص99.

(49) يعتبر اليوم الذي استشهد فيه الحسين بن علي رضي الله عنه في كربلاء سنة (61هـ/681م) (والذي يصادف يوم عاشوراء) يوم حداد وحزن عند الشيعة على اختلاف طوائفهم، في المقابل يعتبره غلاة أهل السنة ويعدونه عيدا يظهرون فيه الفرح ويتوسعون في الأطعمة، وذلك مكايدة للشيعة وشماتة بهم، وقد اخترع كل فريق من الأحاديث ما يؤيدون به آراءهم، والحقيقة أن كل حديث ورد في غير الحث على

صيام يوم عاشوراء تطوعا ومخالفة أهل الكتاب في صيامه يعد حديث باطلا لا أصل له. أنظر: محمود علي مكي، المرجع السابق، مج2 ص117،118.

(50) أنظر: فتحي زغروت، المرجع السابق، ص101.

(51) استحلت الشيعة سب الصحابة رضي الله عنهم وخاصة معاوية بن أبي سفيان (ت 60هـ/680م) وذلك لأن الصحابة غصبوا حق علي بن أبي طالب في الخلافة بزعمهم، ولما وقع أيضا بين علي ومعاوية بعد ذلك في الفتنة الكبرى. أنظر: القاضي النعمان(أبو حنيفة محمد بن منصور): كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق محمد اليعلاوي وآخرون، ط1، دار المنتظر، بيروت، 1996م، ص121،235.

(52) المقري، المصدر السابق، ج2 ص655.

(53) لقد أخطأ محمود علي مكي في ضبط لقب هذا الفقيه فجعله القرطبي وظن أن أصله أندلسي من مدينة قرطبة، والصحيح أن لقبه القرطي نسبة إلى بيع القرط وهو مصري الأصل لم يرحل قط إلى الأندلس. أنظر ترجمته في: القاضي عياض(أبو الفضل عياض بن موسى): ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983م، ج5 ص274،275؛ الذهبي، المصدر السابق، ج16 ص78،79؛ محمود علي مكي، المرجع السابق، مج2 ص124.

(54) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص100.

(55) انتصار محمد صالح الدليمي، المرجع السابق، ص134،135.

(56) ابن العربي(أبو بكر محمد بن عبد الله): قانون التأويل، تحقيق محمد السليماني، ط1، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، 1986م، ص432،433.

(57) "... أخبرنا شيوخنا الذين أدركناهم: أن الذين ماتوا في دار البحر بالمهدية من حين دخل عبيد الله إلى الآن أربعة آلاف رجل، في العذاب، ما بين عالم وعابد ورجل صالح"، (المالكي(أبو بكر عبد الله بن محمد): كتاب رياض النفوس، تحقيق بشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ج2 ص345)؛ "قال أبو الحسن القابسي...: إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه أربعة آلاف في دار النحر في العذاب من عالم وعابد ليردهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت"، (الذهبي، المصدر السابق، ج15 ص145).

(58) الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ترجمة حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ج2 ص332.

(59) ربما كانت له مشاركة في النشاط الأموي ضد الشيعة بدليل ما يذكر أنه تعرض للسجن أيام عبيد الله المهدي بسبب مهاجمته للفاطميين. أنظر: محمود علي مكي، المرجع السابق، مج2 ص125.

(60) "منع عبيد الله [المهدي] في هذا الحين الفقهاء أن يفتوا بمذهب مالك وأمرهم ألا يفتوا إلا بمذهبهم الذي ينسبونه إلى جعفر بن محمد ويسمونه مذهب أهل البيت، من سقوط البتة واحاطة البنات بالميراث وغير ذلك، وغلظ الأمر على المالكية من هذا الحيز ومنعوا من التحليق والفتيا فكان من يأخذ منهم ويتذاكر معهم إنما يكون سرا وعلى حال خوف ورقبة"، (القاضي عياض، المصدر السابق، ج5 ص121).

(61) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص280،281.

(62) أنظر: محمود علي مكي، المرجع السابق، مج2 ص124.

(63) تتمة الحديث: (لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدبارا ولا الناس إلا شحا ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ولا مهدي إلا عيسى بن مريم) وإسناده ضعيف ومتنه منكر، والحديث ضعفه البيهقي والحاكم وفي إسناده أبان بن صالح وهو متروك الحديث. أنظر: إسماعيل المقدم، المهدي، ط8، الدار العالمية، الإسكندرية، 2004م، ص149 -152؛ عبد العظيم البستوي: الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1999م، ص94 -104.

(64) القرامطة: هم أتباع حمدان بن الأشعث (ت 293هـ/906م) الذي انضم للدعوة الإسماعيلية بعد لقائه مع الحسين الأهوازي داعية عبد الله بن ميمون القدَّاح (ت 260هـ/874م) إلى العراق، ثم بدأت الحركة القرمطية تشيع بين الناس في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بسواد الكوفة بعد فترة وجيزة من إخماد الخلافة العباسية لثورة الزنج سنة (270هـ/883م) وذلك في عهد الخليفة المعتمد على الله (256 -279هـ/870 -892م)، ثم انتقلت إلى البحرين واليمن وبلاد الشام، وكان غالبية أتباع القرامطة من الأعراب والفقراء الذين يبحثون عن المال والغنائم. أنظر: ابن الجوزي(أبو الفرج عبد الرحمن بن علي): كتاب تلبيس إبليس، تحقيق أحمد بن عثمان المزيد، ط1، دار الوطن، الرياض، 2002م، ج2 ص634 -637؛ ميكال يان دي خويه: القرامطة، ترجمة حسني رينه، ط1، دار ابن خلدون، بيروت، 1978م، ص163 -166.

(65) القاضي عياض، المصدر السابق، ج5 ص213.

(66) المقري، المصدر السابق، ج2 ص237.

(67) أنظر: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص178 -180.

(68) ابن حيان، المقتبس، ج5 ص306.

(69) أنظر: فتحي زغروت، المرجع السابق، ص103.

(70) أنظر: خالد عبد الكريم حمود، المرجع السابق، ص176.

(71) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1 ص186.

(72) ابن حوقل، المصدر السابق، ص82.

[73] محمود إسماعيل عبد الرازق: الأغالبة سياستهم الخارجية، ط3، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، 2000م، ص132.

[74] المالكي، المصدر السابق، ج2 ص223.

[75] أنظر: خالد عبد الكريم الحمود، المرجع السابق، ص190،191.

[76] أنظر: إسماعيل المقدم، المرجع السابق، ص382،385.

[77] اختلف في تاريخ وفاته فقيل أنه قتل سنة (341هـ/952م) في بلاد ملوية، في حين وثق ابن حيان وفاته سنة (326هـ/938م). أنظر: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص192؛ ابن حيان، المقتبس ج5 ص427.

[78] ابن حيان، المقتبس، ج5 ص350.

[79] كتب جماعة من العلماء والقضاة والأشراف والعدول والفقهاء والمحدثين محضر الطعن في النسب الفاطمي ببغداد سنة (402هـ/1011م) أيام خلافة القادر بالله العباسي (381 -422هـ/991 -1031م) وشهدوا جميعا أن الفاطميين ملوك مصر كفار فساق فجار ملحدون زنادقة معطلون وللإسلام جاحدون ولمذهب المجوسية والثنوية معتقدون قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج أحلوا الخمر وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء ولعنوا السلف وادعوا الربوبية. أنظر: ابن كثير(أبو الفداء إسماعيل بن عمر): البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 1998م، ج15 ص537 -540.

[80] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص347،331،330،253.

[81] المقري، المصدر السابق، ج3 ص60.

[82] محمود علي مكي، المرجع السابق، مج2 ص125.

[83] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1 ص158.

[84] "ومن الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين والأثبات في العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت صلوات الله عليهم والطعن في نسبهم... يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفا إليهم بالقدح فيمن ناصبهم وتفننا في الشمات بعدوهم... ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهورهم دعوتهم بالمغرب وإفريقية ثم باليمن ثم الإسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاسموا بني العباس في ممالك الإسلام... وكيف يقع هذا كله لدعي في النسب يكذب في انتحال الأمر"، (ابن خلدون(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2001م، ج1 ص27 -29).

[85] "وأنت إذا سلمت من العصبية والهوى، وتأملت ما قد مر ذكره من أقوال الطاعنين في أنساب القوم علمت ما فيها من التعسف والحمل مع ظهور التلفيق في الأخبار، وتبين لك منه ما تأبى الطباع السليمة

قبوله، ويشهد الحس السليم بكذبه، فإنه قد ثبت أن الله تعالى لا يمد الكذاب المفتعل بما لا يكون سببا لانحراف الناس إليه، وطاعتهم له على كذبه"، (المقريزي(أبو العباس أحمد بن علي): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، ط2، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1996م، ج1 ص52).

(86) أنظر: عبد الكريم غلاب: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م، ج1 ص367.

(87) محمد سهيل طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام، ط2، دار النفائس، بيروت، 2007م، ص62.

(88) يذكر أحد الباحثين الإسماعيليين أن المستنصر هو الذي كتب إلى العزيز يسبه ويهجوه وأن العزيز هو الذي رد عليه بهذا الجواب، والصحيح أنه لا ينبغي أن تكون هذه المراسلة بالعكس، ذلك أنه لا خلاف في نسب الخلفاء الأمويين بالأندلس ولم يقدح أحد في نسبهم بخلاف الفاطميين حيث أن نسبهم محل طعن وخلاف. أنظر: مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ط2، دار الأندلس، بيروت، 1965م، ص218،217.

(89) ابن خلكان(أبو العباس أحمد بن محمد): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د ت، ج5 ص373.

(90) كتبت هذه الأبيات في زمن خلافة الطائع لله العباسي (363 -381هـ/974 -991م). أنظر ترجمته في: الذهبي، المصدر السابق، ج15 ص118 -127.

(91) "ذكر الخشني أن المرء أصبح بإمكانه ادعاء أشرف الأنساب ثم لا يجد في ذلك مكذبا"، (أحمد الطاهري: إمارة بني صالح في بلاد نكور، ط1، الخزانة العامة للكتب والوثائق، المغرب، 1998م، ص28،27).